

أشهر ما كتب أمل دنقل

Posted on 2018, 31 أغسطس



Category: **شعر**

بواسطة: محررو المحيط

لا تصالح ، هو عنوان واحدة من أشهر قصائد الشاعر **أمل دنقل** ونشرت في ديوان (أقوال جديدة عن حرب البسوس) وضم بين دفتيه قصيدتين فقط هما مقتل كليب (الوصايا العشر) التي اشتهرت بـ (لا تصالح) ومراثي اليمامة. وقد اكتسبت قصيدة (لا تصالح) المكتوبة في نوفمبر تشرين الثاني (1976م)، شهرتها قبل اتفاقيات كامب ديفيد وبعدها، وعلى وجه التحديد بعد توقيع اتفاقيات فضّ الاشتباك بعد حرب العاشر من رمضان – السادس من أكتوبر 1973م – المجيدة

(1)

!لا تصالحُ

ولو منحوك الذهب..

أترى حين أفقاً عينيك

..ثم أثبتت جوهرتين مكانهما

هل ترى...؟

..هي أشياء لا تشتري

، ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك

، حسُّكما - فجأةً - بالرجولةِ

، هذا الحياء الذي يكبت الشوق.. حين تعانقهُ

..الصمتُ - مبتسمين - لتأنيب أمكما

وكأنكما

!ما تزالان طفلين

:تلك الطمأنينة الأبدية بينكما

..أنَّ سيفانٍ سيفكَ

صوتانٍ صوتكَ

:أنك إن متَّ

للبيت ربُّ

وللطفل أبُّ

هل يصير دمي - بين عينيك - ماءً؟

.. أتُنسى ردائي الملطَّحَ

تلبس - فوق دمائي - ثياباً مطرزةً بالقصب؟

!إنها الحربُ

..قد تثقل القلبَ

لكن خلفك عار العرب

..لا تصالحُ

!ولا تتوخَّ الهرب

(2)

!لا تصالح على الدم.. حتى بدم

لا تصالح! ولو قيل رأس برأسٍ

أكلُ الرؤوس سواءً؟

!أقلب الغريب كقلب أخيك؟

!أعيناه عينا أخيك؟

وهل تتساوى يدٌ.. سيفها كان لك

بيد سيفها أتكلك؟

سيقولون

..جئناك كي تحقن الدم

جئناك. كن -يا أمير- الحكم

سيقولون

.ها نحن أبناء عم

قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك

واغرس السيفَ في جبهة الصحراء

إلى أن يجيب العدم

إنني كنت لك

،فارساً

،وأخاً

،وأباً

!وملك

(3)

.. لا تصالح

ولو حرمتك الرقاد

صرخاتُ الندامة

..وتذكّر

(إذا لان قلبك للنسوة اللابسات السواد ولأطفالهن الذين تخاصمهم الابتسامه)

"أن بنتَ أخيك" اليمامة

–زهرةٌ تتسربل – في سنوات الصبا

بثياب الحداد

:كنتُ، إن عدتُ

،تعدو على دَرَجِ القصر

..تمسك ساقِيَّ عند نزولي

– فأرفعها – وهي ضاحكةٌ

فوق ظهر الجواد

ها هي الآن.. صامتةٌ

:حرمتها يدُ الغدر

،من كلمات أبيها

ارتداء الثياب الجديدة

!من أن يكون لها – ذات يوم – أخٌ

..من أب يتبسّم في عرسها

..وتعود إليه إذا الزوجُ أغضبها

،وإذا زارها.. يتسابق أحفاده نحو أحضانه

..ليناالوا الهدايا

(ويلهوا بلحيته (وهو مستسلمٌ

..ويشدُّوا العمامة

!لا تصالح

فما ذنب تلك الإمامة

،لترى العرشَ محترقاً.. فجأةً

!وهي تجلس فوق الرماد؟

(4)

لا تصالح

ولو تَوَجَّجوك بتاج الإمارة

كيف تخطو على جثة ابن أبيك..؟

..وكيف تصير المليكَ

على أوجهِ البهجة المستعارة؟

..كيف تنظر في يد من صافحوك

..فلا تبصر الدم

في كل كف؟

..إن سهماً أتاني من الخلف

سوف يجيئك من ألف خلف

فالدّم - الآن - صار وساماً وشارة

، لا تصالح

ولو تَوَجَّجوك بتاج الإمارة

إن عرشك: سيفٌ

وسيفك: زيفٌ

إذا لم تزنْ - بذؤابته - لحظاتِ الشرف

واستطبت - الترف

(5)

لا تصالح

ولو قال من مال عند الصدام

"..ما بنا طاقة لامتساق الحسام .."

:عندما يملأ الحق قلبك

تندلع النار إن تتنفس

ولسانُ الخيانة يخرس

لا تصالح

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام

كيف تستنشق الرئتان النسيم المدنس؟

..كيف تنظر في عيني امرأة

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسها في الغرام؟

كيف ترجو غداً.. لوليد ينام

كيف تحلم أو تتغنى بمستقبلٍ لـغلام-

وهو يكبر - بين يديك - بقلب مُنكس؟

لا تصالح

ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام

..وارو قلبك بالدم

..وارو التراب المقدس

..وارو أسلافك الراقدين

!إلى أن تردَّ عليك العظام

(6)

لا تصالح

ولو ناشدتك القبيلة

"باسم حزن" الجلييلة

أن تسوق الدهاء

وتُبدي - لمن قصدوك - القبول

سيقولون

ها أنت تطلب ثأراً يطول

فخذ - الآن - ما تستطيع

.. قليلاً من الحق

في هذه السنوات القليلة

، إنه ليس ثأرك وحدك

لكنه ثأر جيلٍ فجيل

.. وغداً

، سوف يولد من يلبس الدرع كاملةً

، يوقد النار شاملةً

، يطلب الثأراً

، يستولد الحقَّ

من أضلَّع المستحيل

لا تصالح

ولو قيل إن التصالح حيلة

إنه الثأرُ

.. تبهتُ شعلته في الضلوع

..إذا ما توالى عليها الفصول

(ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها الخمس

!فوق الجباه الذليلة

(7)

لا تصالح، ولو حذرتك النجوم

..ورمى لك كهأنها بالنبأ

..كنت أغفر لو أنني متُّ

..ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ

،لم أكن غازياً

لم أكن أتسلل قرب مضاربهم

أو أحوم وراء التخوم

لم أمد يداً لثمار الكروم

أرض بستانهم لم أطأ

!"لم يصح قاتلي بي: "انتبه

..كان يمشي معي

..ثم صافحني

ثم سار قليلاً

!ولكنه في الغصون اختبأ

فجأةً

..تقبتني قشعريرة بين ضلعين

!واهتز قلبي - كفقاعة - وانفتأ

وتحاملتُ، حتى احتملت على ساعدي

فرأيتُ: ابن عمي الزنيم

واقفاً يتشقى بوجه لئيم
لم يكن في يدي حرباً
،أو سلاح قديم
لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظماً

(8)

..لا تصالحُ

:إلى أن يعود الوجود لدورته الدائرة

النجوم.. لميقاتها

والطيور.. لأصواتها

والرمال.. لذراتها

والقتيل لطفلته الناظرة

:كل شيء تحطم في لحظة عابرة

الصبا - بهجة الأهل - صوت الحصان - التعرف بالضيف - هممة القلب حين يرى برعماً في الحديقة يزوي - الصلاة لكي
ينزل المطر الموسمي - مراوغة القلب حين يرى طائر الموت

وهو يرفرف فوق المباراة الكاسرة

كلُّ شيءٍ تحطَّم في نزوةٍ فاجرة

..والذي اغتالني: ليس رباً

ليقتلني بمشيئته

ليس أنبل مني.. ليقتلني بسكينته

ليس أمهر مني.. ليقتلني باستدارته الماكرة

لا تصالحُ

..فما الصلح إلا معاهدةً بين ندين

(في شرف القلب)

لا تُنتَقَصُ

والذي اغتالني مَحْضُ لَصُ

سرق الأرض من بين عينيَّ

!والصمت يطلقُ ضحكته الساخرة

(9)

لا تصالح

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ

والرجال التي ملأتها الشيوخ

هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد وامتطاء العبيد

هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم

وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ

لا تصالح

فليس سوى أن تريد

أنت فارسُ هذا الزمان الوحيد

!وسواك.. المسوخ

(10)

لا تصالحُ

لا تصالحُ